

تصدير

يقدم

معالي الأستاذ محمد أديب العامري

كتاب «رسائل إلى ولدي خالد» للأستاذ «البدوي الملم» (يعقوب العودات) يذكرني تَوَّأ برسائل طالعتها وتأثرنا بها . يذكرني بكتب ثلاثة عانى أصحابها جميعاً الأساليب الأدبية ، وحلقوا فيها ، وهم اللورد تشستر فيلد السياسي البريطاني المشهور ، صاحب كتاب «رسائل اللورد تشستر فيلد إلى ولده» . وأحمد حافظ عوض الصحفي المصري ، صاحب كتاب «من والد إلى ولده» . وخليل السكاكيني الأديب الفلسطيني صاحب كتاب «سرى» .

وكتابة الرسائل على هذا النحو – من والد إلى ولده – تكاد تكون نوعاً من الاعترافات . وهي على ندرتها ، ندرة الاعترافات ، تجذب القارئ جذباً خاصاً ، وتغريه بالمطالعة والتأمل ، ويبنى أدب الاعترافات والرسائل اليوم آداب المذكرات الخاصة والتراجم الذاتية ، فكلاهما جذاب طريف ، وبخاصة إذا كانت المذكرات أو التراجم صادقة صريحة . وإني واثق أن «البدوي الملم» حين كتب كتابه هذا لم يترسم أسلوب أي من هؤلاء الكتاب ، أو يفكر في اتباعه ، وإنما أرسل

قلمه على سجيته . وسطر ما أملته عليه حوادث العصر : على نموه ونضجه . أجل جاءت رسائل الأديب « البدوي » ذات طابع خاص به مطابق لشخصيته : متسق مع رأيه الذي يعرفه من اتصل به أو صادفه .

إن مضمون الرسائل متصل بحياتنا الراهنة : وأدبنا المعاصر . ومشكلاتنا اليومية . و كما أسلفت ، فإن مظاهر الاعتراف فيها والحدة والتنوع تحمل القارئ على المضي في المطالعة مضيئاً ينتهي به إلى الفراغ من قراءة الرسائل جميعاً في جلسة واحدة أو اثنتين .

وبعد : فإن في كل أديب أو فنان نزعة إلى الإفشاء بذات نفسه إلى غيره . ولقد يعد بعضهم هذا ضعفاً ، ولكن فيه القوة كل القوة . والحقيقة أنه كلما كان الفنان أكثر إفاضة في الإعراب عن نفسه بصدق وإخلاص وعمق ، كان أقوى وأقدر ، و كان نصيبه من العظمة أكبر . إن جرأة المرء على نفسه أشد أنواع الجرأة . وكلما كان الفنان أقدر على أن يشرك - فيما يفضي به - قراء من سائر الطبقات والأمم ، كان حظه من التقدير والخلود أعظم ، وذلك بالطبع إذا كان ما يفضي به ذا غناء وجدة .

فإذا اطلعنا على رسائل « البدوي المثلث » إلى ولده « خالد » رأينا فيها شيئاً كثيراً من الاعترافات التي أشرت إليها ، ولكنها تخلى السبيل أحياناً كثيرة كذلك إلى المبادئ العالية والتوجيهات السديدة التي يعرب عنها لولده وللقراء .

هو يقول مثلاً :

« إن أباك يا خالد يفهم (الدين) فهماً بعيداً عن مفهوم الذين اتخذوا من (الدين) سلعة وراحوا يتاجرون بها ... إنهم في واد ... وأباك في واد آخر » .

وهو يقول :

« من أغلى أماني وأشهاها أن أراك تحمل شهادة جامعية عالية ، وتؤسس أسرة ، وتختار شريكة حياتك . وشريكة حياتك التي أتمناها لك هي أن تكون عربية تشعر شعورك وتحس حسك ... فحاذر يا بني الفتاة الأجنبية إذا كنت تنشئ الراحة وتستهدف السعادة » .

أما المبادئ التي يعتنقها ويقدمها لك ، في تضاعيف رسائله : على أنها عقيدته التي يود لو يعتنقها ولده كذلك ، فمنها إغاثة الملهوف ، ومحاربة التمييز العنصري ، والتحذير من سطوة اليهود في العالم ، وحسن معاملة العرب الفلسطينيين الذين أساء العالم إليهم ، والبلاء الذي يعانيه اللاجئون الفلسطينيون ، والخطأ الذي ارتكب في إصدار وعد بلفور وتنفيذه . كما يشير في صورة حافزة إلى الأمل المعقود مع الأجيال العربية الصاعدة : وإلى أسباب الأمل الواسع في نهضة الأمة العربية ، وخروجه من النكسات التي تردت فيها . هذا إلى ما في الرسائل من إثارة للرغبة في الفضائل ، والعزوف عن الرذائل ، فهي لذلك أدب صحيح ذو غاية سامية وهدف نبيل . من ذلك ما يكتب « البدوي » لولده في مطلع الرسائل عن ذكرى ميلاد السيد المسيح :

« لا تصدق أن هناك "مجداً" و"سلاماً" و"مسرة" مادام الباطل يسود الحق . والضلال يهيمن على الهدى . والضلام يطفى على النور . وعن أسباب القلق والتعس في حياة الناس الحاضرة يقول المؤلف : « الواقع يا بني أن نزوع الإنسان إلى مسaire المدينة الحديثة وعزوفه عن حياة البساطة يفضيان إلى هذا الشقاء » .

وقال : « أتطلع إلى كل بقعة من بقاع العالم فأجدتها تعيش في اضطرابات وثورات . الأمر الذي يحملني على الكفر بالبشرية الوالغة في الدماء » .

وقال : « بعد طواف ذهني خرجت بنتيجة واحدة : وهي أن المعاملة اللا إنسانية التي يلقاها العرب الفلسطينيون : والتي تتنافى مع أبسط قواعد حقوق الإنسان تحمل العربي على الكفر بالمثل العليا ... ومالم يصعد العرب نضالهم فستحقق إسرائيل أهدافها الحيثية » .

ويستطرد في رسالة أخرى يقتبس كلام أحد الكتاب الإفرنج : « إن الفلسطينيين أصبحوا يشكلون قوة سياسية كبيرة من الصعب تطويقها ، وفضلاً عن ذلك فهي قادرة على الحركة ومعارضة الأنظمة العربية . بالإضافة إلى مقدرتها على وضع الشرق الأوسط في وضع ثوري » .

إلى آخر ذلك من الأفكار التي تتجه إلى زيادة الأجيال الجديدة زيادة سليمة تخدم فيها مجتمعاتها وأوطانها والإنسانية جميعاً .

فإذا عدنا إلى رسائل اللورد تشستر فيلد إلى ولده قدمت لك النموذج

الثاني : « إن المداهنة المستمرة للناس : والموافقة الدائمة على آرائهم : تحط من قدر الإنسان : كما أن المخالفة المستمرة . والمناقشة الصائحة : تقزز النفس ، فاطرح رأيك باعتدال وتواضع تحفظ لنفسك عزتها وكرامتها » .
 « ولدى العزيز : غالباً ما أعلمتك أن أشد مبادئ الشرف والفضيلة هي وحدها التي تنشيء لك حرمتك وقيمتك في نظر الناس : وأن العلم والمقدرة وحدهما اللذان يولدان الإعجاب بك والحفاوة بشخصك » .
 وقال : « لم يكن كاتو يفكر أنه ولد لنفسه فقط ، ولكن للناس كافة ، فخبرتني إذن يا بني هل تتصور أن الإنسان إنما ولد لمتعة نفسه وفائدتها فقط . وهل هو مجبر على الجود بالخير للمجتمع الذي يعيش فيه والبشرية عامة » .

وقال أحمد حافظ عوض لولده :

« لا أنكر عليك أنه لا يبعد أن تجد نفسك - وقد بلغت في يوم من الأيام مبلغ الرجال الذين عركوا الدهر ، واختبروا الناس » ، ودرسوا الحياة دراسة كاملة - على خلاف معي في بعض الآراء التي أعرضها عليك وإنما أرجو منك أن تتصور أولاً أنني فيما أصفه لك من القضايا العامة لا يصح أن يوجد بيني وبينك - أو بين أحد من الذين تقدموا لطرق هذا الباب - خلاف . وأما في تفاصيل الأحكام على الأمور والناس والظروف فإن كثيراً منها قد يظهر في أشكال شتى باختلاف الظروف والزمان والمكان » .

وقال المرحوم السكاكيني تحت عنوان « من أراد الاعتداء على فليجرب » :

« أنا لا أعتدى على أحد ، ولكن أحتقر نفسي كل الاحتقار إذا
اعتدى على أحد ، لأن الاعتداء لا يقع إلا من جانب القوى على الضعيف ،
أو من جانب ذى الدهاء على الغبي ؛ وإني لأكره كل الكره أن أكون
ضعيفاً ، وإني لأكره كل الكره أن أكون غيباً » .

عمان - الأردن

محمد أديب العامري